رحلتـــي مـــع الطـــب النفســـي

د.الزيـن عبـاس عمارة – الطـب النفسـي – السـودان / أبـو ظبــي

بـــريد إلكتروني : zinomara@hotmail.com - zinomara@emirates.net.ae

فهـرس الكتـاب

مقدمـة الأستـاذ علـي محمـد شمـو

بدأت علاقتي بأخي وصديقي الدكتور الزين عباس عمارة، منـذ أن كان طالبا في كلية الطب في جامعة الخرطوم، وكنت حينها مـذيعا فـي إذاعة أم درمان وقد كان ذلك في بداية الستينيات، وفي ريعان الـشباب وكنت بحكم طبيعة عملي وعلاقتي بالمبدعين والموهوبين، آتـي علـى كثير منهم وتنمو مع بعضهم صلات وأواصر تختلف من حيث المتانـة والقوة والحميمية. وقد تستمر وتمتد، وقد تدوم وتقوى على مر الزمـان، كما حدث مع الدكتور الزين فالصلة بيننا لم تنقطع . ولذلك فإنني حين أكتب عنه مقدما له هذا الكتاب، فإنما أتحدث عن قامة شامخة في مجال الأدب والشعر والفنون، تنافس تلك القامة التي تقف على قمم وسـفوح العلوم وبصفة خاصة الطب النفسي والخبرات العظيمة المتراكمة علـى مر الأيام والسنين في مجال الطب النفسي وعلى الرغم من أننـي فـي الأصل معلم بحكم دراساتي الأولى، إلا أنني أعترف بأنني لـست فـي موقف يمكنني من تقويم قدرات الزين فـي مجـال التربيـة والعلـوم وبالمنطق نفسه، فإنني كاتصالي أتعامل مع وسائل الإعلام، قرابة نصف قرن من الزمان، أجد نفسي في موقف مماثل يحول دون تقويمي للـزين كأديب وشاعر.

إن القارئ لسيرة صديقي الزين، كما كتبها بنفسه، وبأسلوب سـهل ومباشر، وفيه كثير من الواقعية والتواضع ليدرك أنه يقرأ سيرة رجـل عظيم نفخر نحن في السودان أن يكون من مواطنينـا، وتفخـر دولـة الإمارات العربية المتحدة، بأنها وطنه الثاني، والذي بدأ ينازعنـا فـي مواطنة الزين عندما اتصل بي الزين من البحرين إبان أيامه الأولى في الخليج، سعدت بسماع صوته عبر التليفون بعد طول غيـاب، وازدادت سعادتي عندما علمت أن ذلك الصوت آت من المنامة، عاصمة أولئـك النفر الكريم، وذلك الشعب المثقف المتواضع الرقيق، الذي هـو شـعب البحرين وعلى الرغم من معزتي لشعب البحرين ومحبتي لهم وسعادتي لوجود الزين بينهم، إلا أنني وا - كنت في غاية الأنانية وحب الـذات عندما اتصلت بإخوتي وأصدقائي في وزارة الصحة فـي أبـو ظبـي، وعرضت عليهم استقدام الزين لا ضنا مني به على أهلي في البحـرين وتفضيل أهلي في أبو ظبي عليهم، ولكنني أردت أن يكون الزين معنـا في أبو ظبي نراه مجسدا أمامنا لنتجاذب معه الحديث، ونستمع إلى أدبه وشعره وتجاربه الثرية في الحياة وقد كان لي ما أردت ولـست نادمـا على ما فعلت- ولكنني مدين لأهل البحرين باعتذار.

الزين عباس عمارة، عندما نسمع اسـمه يتـردد فـي الراديـو أو التلفزيون أو منشورا في صحيفة أو كتاب، نتساءل، وهل الموضوع هو الزين الأديب أم الزين الطبيب ، ذلك الإنسان الرقيق الذي يملأ الأفـق بهجة وجمالا عندما يكون حاضرا بين الأصدقاء لقـد تـصفحت هـذا الكتاب، وهو في مراحله النهائية قبل الطباعة فلم أجد فيه ما يدعو إلـى إبداء الرأي نقدا أو إضافة، بل على العكس تماما، فقد كان سفرا كـاملا لسيرة واحد من ا لنابهين الذين نفخر بهم أمة السودان وأعجبـت جـدا بتلك الذاكرة الدقيقة التي تذكر نوعا من التفاصيل قلّ أن تبقى في ذاكرة الكثيرين وأنا منهم .. ولعلّ أصدقاء الزين وزملاءه في مراحل الدراسة، ومن بعدها في مجال العمل في السودان وفي إنجلترا وفي البحرين وفي دولة الإمارات العربية المتحدة، يصابون بالدهشة عندما يجدون بعـض المعلومات عن بعض المواقف التي مضت مع الزمن ولم تتردد سيرتها مع الأيام.

عيبنا نحن في السودان أننا لا نكتب السير ولا نروي تجاربنا عبـر السنين، ظنّا منّا أنها حديث عن النفس، بينما هي تراث للأمة، تـستنبط منه الماضي والتاريخ فالإنسان عندما يتحدث عن فترة الدراسة أو العمل داخل السودان وخارجه أو الفترات التي يقضيها دارسا أو متخصصا في أوروبا أو أمريكيا لا يدور حديثه حول نفسه بل حول المجتمـع الـذي يعيش فيه وما يحدث فيه من أنشطة ووقائع يشترك فيها كل أفراده،

بحيث تكون روايتها والحديث عنها بعد مرور الأزمان والحقب جـزءا من التاريخ.
لقد كان الدكتور الزين عباس عمارة في سفره هذا أمينا في سـرده لسيرته الإنسانية والعلمية وتجاربه الثرية والمتعددة وعلاقاته مع زملائه وأهله وأصدقائه ومع كل من اشترك معه في ا لحياة داخـل الـسودان وخارجه فقد كتب السيرة بلغة سهلة وموضوعية وشاملة ولم يحاول أن يضفي على نفسه ما لا يستحق. بل إن الزين عباس عمارة لكـل مـن يعرفه في أية مرحلة من مراحل حياته هو أكبر بكثير مما كتـب عـن نفسه فتحية له على هذا الجهد... وأرجو من كل من يقرأ هذا الكتاب من أقرانه وأترابه وزملائه أن يحذو حذوه ويسجل للتاريخ سـيرته ويقـدم لمواطنيه سجلّه فهو تراث وطني من حقنا جميعا ومـن حـق الأجيـال القادمة أن تطلع عليه.

مقتطـف أول : برنامـج أخلاقيات الرعايـة الصحيـة

- **مبـادئ أخلاقيـات المهنـة**

لقد كان من الثوابت التي ترد في كل النظم والسياسات وتمـلأ كـل المساحات في القاعات والملصقات والمجلة الطبية مفـردات أخلاقيـات المهنة ومواثيقها التي كانت حاضرة في أذهـان الجميـع سـاكنة فـي وجدانهم وعقولهم بصورة دائمة وهي:
1- قسم الطبيب. 2- دليل أخلاقيات المهنة. 3- ميثـاق شـرف العاملين. 4- حقوق المريض النفسي. 5- إعلان جنيف.

- **قسـم الطبيـب**

بسم ا الرحمن الرحيم
أقسم با العظيم. أن أراقب ا في مهنتي
- أن أصون حياة الإنسان في كافة أدوارها في كـل الظـروف والأحوال باذلا وسعي في استنقاذ ها من الهلاك والمـرض والألـم والقلق.
- وأن أحفظ للناس كرامتهم وأستر عورتهم وأكتم سرهم.
- وأن أكون على الدوام من وسائل رحمـة ا بـاذلا رعـايتي الطبية للقريب والبعيد، للصالح والخاطئ والصديق والعدو.
- وأن أثابر على طلب العلم أسخره لنفع الإنسان لا لأذاه.
- وأن أوقّر من علمني وأعلم من يصغرني وأكون أخا لكل زميل في المهنة الطبية متعاونين على البر والتقوى.
- وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي نقية مما يشينها تجاه ا ورسوله والمؤمنين.
وا على ما أقول شهيد

- **ميثـاق العامليـن فـي المستشفـى**

أعلن بوقار بأنني دائما:
- أكون مجاملا للمرضى والزائرين والعاملين في المستشفى.
- أعمل جبا في توفير الرعاية الصحية ومعالجة المرضى والمصابين.
- أكون مثالا مشرفا.
- أكون شريفا وعادلا مع بقية العاملين.
- أطلع على طرفي المشكل قبل اتخاذ أي قرار.
- أعتمد على العقل أكثر من اعتمادي على النظام.
- أترقب المتطلبات وأتخطى العقبات والصعوبات.
- أقوم بعملي أحسن مما قمت به في السابق.
- لن أرضى إلا بالكمال.
- أساعد على تنمية الخدمات الطبية للمرضى.
- أمدح المستشفى الذي أعمل فيه.

- **إعـلان جنيـف ص 2 (أخلاقيـات المهنـة)**

- أتعهد وأنا انضم إلى سلك مهنة الطب بأن:
- أكرس جل حياتي لخدمة الإنسانية.
- أقدم لأساتذتي الإحترام والتقدير الذي يستحقونه.
- أمارس مهنتي بما يمليه علي الضمير والشرف.
- تكون صحة المريض محل اعتباري الأول.
- أحافظ على الأسرار التي أؤتمن عليها.
- أصون بكل الوسائل المتاحة لي الشرف والتقاليد العريقة لمهنة الطب.
- أعامل زملائي باعتبارهم إخوتي.
- لن أسمح لإعتبارات الدين والجنـسية والعـرق والـسياسات الحزبية أو المركـز الاجتمـاعي أن تتـدخل بـين أداء واجبـي ومرضاي.
- أحافظ على أبعد حدود الاحترام للحياة الإنسانية مـن بدايـة الحمل ولن أستعمل معرفتي الطبية حتى ولو تحت التهديد خلافا لما تقتضيه الأعراف والقوانين الإنسانية.
- إنني أقطع العهد على نفسي هذه العهود بكل رصانة ووقـار وبمحض إرادتي وأقسم بشرفي على ذلك.

- **ميثـاق حقـوق المريـض النفسـي**

إن المريض النفسي الذي يلتمس المعونة النفسية يبقى محتفظا بمـا لديه من حقوق مدنية خلال فترة تواجده بالمستشفى، أما المرضى الـذي يتم إدخالهم قسريا إلى المؤسسة النفسية بإيـداعهم مـن قبـل الجهـات القضائية أو الأمنية لارتكابهم جنحة أو جناية فإنهم يفقدون الحـق فـي الحرية، وفيما يلي إجمالا لحقوق المريض أو النزيـل فـي المؤسـسة النفسية:
- الحق في تلقي العلاج والرعاية بشكل فردي وإنساني متكامل والحصول على موافقته الخطية في أي إجراء طبي يتعلق بحالتـه الجسدية أو النفسية.
- الحق في رفض العلاج ما لم يـشكل ذلـك خطـورة علـى المريض أو على الآخرين، وحقه في الانـسحاب مـن البرنـامج العلاجي إذا أحس بأن مخاطره تفوق فوائده.
- المحافظة على سرية المعلومات وخصوصية المريض فيمـا يتعلق بالسجلات والمراسلات بحيث لا يمكن إفـشاء المعلومـات الخاصة بالمريض إلا بالرجوع للمريض والحصول على موافقتـه الخطية ويستثنى من ذلك الحالات التالية:
= عندما يشكل المريض خطورة على نفسه أو على المجتمع.
= عند تحويل المريض من مؤسسة علاجية إلى أخرى.
= عندما يتطلب إفشاؤها لجهات رسمية أو قضائية كالمحاكم.
= إكمال قضايا المطالبة بالتأمين.
= مشاركة المريض في البحوث العلمية.
- التواصل بحرية مع الآخرين وذلك عن طريـق الرسـائل أو إجراء المكالمات الهاتفية أو الزيارة ما لم يتعارض ذلك مع الخطية العلاجية للمريض.
- حق المريض في الاحتفاظ بامتيازاته الشخصية:
أ) له الحق في ارتداء الملابس الخاصة به – ب) المحافظة على مظهره وذوقه الشخصي – ج) تقبل كل الضرورات الأساسية للحياة.
- حرية الديانة والتعليم
- المحافظة على حقوقه المدنية ويشمل ذلك حقه في الحـصول على التمثيل القانوني وحقه في التوظف والتمتع بمنصب عام وحقه في الزواج والطلاق وكتابة الوصية والتعاقد مع الآخرين.

- صيانة كرامته واحترامه وكذلك هويته الشخصية.
- المحافظة على سلامته الشخصية وحقه في التظلم.
- التحويل العلاجي مع استمرارية الرعاية.
- حريته في الاطلاع على سجلاته الخاصة.
- شرح وتوضيح التكاليف العلاجية.

بعد العلاج والخروج من المؤسسة النفسية فإن له الحق في المسكن الملائم وحقه في الرعاية حسب الخطة الموضوعة له من قبل مـ وظفي المؤسسة النفسية.

مقتطـف ثانـي : محطـات في حياتـي

حتى تستكمل بقايا الصورة التي رسمتها وتتضح أبعاد هذه الرحلـة التي قمت بها مع القارئ داخل وخارج السودان كان لابد مـن وجـود بطاقة تعريف تعطي خلفية فكرية عـن جوانـب مـن حيـاتي ليـست بالضرورة سيرة ذاتية ولكنها نبذة شخصية مهمة في إطار تقيـيم هـذه الرحلة وأمل أن يمنحني ا فسحة من العمر وقدرا من العافية لأكمـل كتابي (بين الشروق والغروب) وفيه تسجيل كامل لكل تـاريخ حيـاتي بأفراحها و أتراحها.

- ولدت في حي السكة الحديد في مدينـة عطبـرة بالمديريـة الشمالية عام 1939.
- تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة سنجة الوسـطى بمديريـة النيل الأزرق حيث تتلمذت على يدي الأستاذ الأديب حسن نجيلـة والأستاذ الأديب محمد علي النويري واللذين ورد ذكرهما الحـسن في محطات الرحلة وقد حصلت في امتحـان الـشهادة الـسودانية الوسطى على مستوى الدولة على المركـز الأول مـشترك مـع البروفيسور شوقي حسن المصري والبروفيسور عبد الجليل محمد عبد القادر وتم توزيعنا على المدارس الثانوية الكبرى آنذاك حسب التوزيع الجغرافي وعلى التوالي.. وادي سيدنا الثانوية وخورطقت الثانوية ثم حنتوب الثانوية ويشاء ا أن نلتقي سويا في كلية الطب جامعة الخرطوم.
- تلقيت تعليمي الثانوي في حنتوب الثانوية وهي المدرسة التي صقلتني وشكلتني علميا وفكريا وثقافيا و اجتماعيا وكونت ملامـح شخصيتي و أكسبتني كثيرا من الصفات التي أعتز بها والخبـرات التي استفدت منها والعلاقات التي اعتمدت عليها والمهارات التـي أصبحت رصيدا انهل منه حتى مراحل متقدمة من حياتي وأعظـم من تأثرت بهم وأثروا حياتي مع كل جيـل الـرواد فـي التربيـة والتعليم الأستاذ الشاعر الفذ الأديب الهادي آدم والذي كان رئـيس الجمعية الأدبية في حنتوب ثم الأستاذ الأديب والذي أولاني رعاية خاصة في الفصل الرابع في (مدام كوري) حتى حصلت على كأس (أحسن طالب في الدفعة) وهو تقليد سنوي معروف لـدى طـلاب حنتوب يتم اختيار الفائز في آخر اجتماع لمجلـس الأسـاتذة بعـد امتحانات الثانوية العامة ويقدم في الاجتماع الخير لأبناء الدفعة قبل رحيلهم من السكن الداخلي وقد حصلت على المرتبة الأولـى فـي الشهادة الثانوية العامة من كمبردج.
- تلقيت تعليمي الجامعي بداية بكلية العلوم ثم تحولت إلى كليـة الآداب ثم رجعت بإيعاز من مسجل الجامعة البروفيسور الأديـب عمر محمد بشير و بعد فوات الأوان في التحويل الذي ورد ذكـره دخلت الطب و تخرجت منها في أبريل 1965.

التعليـم و التدريـب

قسم الطب النفسي في (عيادة بعشر) في الخرطوم بحري ثم عنبـر النفسية في مستشفى (الخرطوم التعليمي) ثم افتتحت قسم الطب النفـسي في مستشفى (ود مدني) ثم مستشفى (جوبا) ثم مركز صحي الخرطوم.

- طبيبا متدربا مبعوثا للدراسات فوق الجامعية في عام 1970 في معهد الدراسات النفسية في جامعة لندن ثم عملت في مستشفى فراين بارنت في شمال لندن.
- مستشفى سانت جونز للطب النفسي في أكسفوردشير و معهد الدراسات النفسية في جامعة أكسفورد.
- المنطقة الطبية في لنكلنشير في مستشفيات روسبي و قرانثهام و اسكقنس و بوسطن و مابرلي في نوتنجهام.
- دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن في عام 1973 ثم زمالـة كلية الأطباء النفسانيين البريطانية عام 1974.
- عدت إلى السودان و افتتحت قسم الطب النفسي في مستـشفى كوستي
- مستشفى الطب النفسي في دولة البحرين و افتتحـت العيـادة النفسية للأطفال
- استشاري للطب النفسي بالصحة المدرسـية بـأبو ظبـي و افتتحت العيادة النفسية للأطفال
- استشاري للطب النفسي بقسم الأمراض العـصبية و النفـسية بالمستشفى المركزي بأبو ظبي ثم رئيسا للقسم بالمستشفى المركزي و الجزيرة.
- مدير مستشفى الطب النفسي الجديد بمدينة أبو ظبي الطبية.

عضويـة الهيئـات الطبيـة

- المجلس الطبي السوداني / جمعية الأطباء السودانيين / الكلية الملكية البريطانية للأطباء النفسانيين بالمملكة المتحدة / الجمعية الأمريكية للأطباء النفسانيين بالولايات المتحدة / شعبة الطب النفسي للأطفال والمراهقين بالكلية الملكية البريطانية / مؤسس لاتحاد الأطباء النفسانيين العرب / الاتحاد العالمي للأطباء النفسانيين / الجمعية الأمريكية لتطوير العلوم (A.A.A.S.) واشنطن يناير 1994 / أكاديمية نيويورك للعلوم ديسمبر 1994 / الاتحاد العالمي للصحة النفسية / تسجيل السيرة الذاتية في موسوعة (WHO'S WHO IN THE WORLD) في الطبعة الثالثة عشرة عام 1996 / اختياري ضمن خمسمائة شخصية عالمية (The Global 500) تم تكريمهم ومنحوا جائزة القرن The New Century Award تقديرا لإسهاماتهم العلمية والاجتماعية والإنسانية في خدمة المجتمع الإنساني وهي عبارة عن شهادة تقدير ودرع تذكاري منقوش الإهداء على تمثال الكرة الأرضية عام 2000 / الاتحاد العالمي للوقاية من الانتحار فيينا النمسا الممثل الإقليمي لدولة الإمارات العربية 1990 / معهد (برايد) لتعليم الأسرة الوقاية من أخطار المخدرات مدينة أتلانتا الولايات المتحدة الأمريكية / الاتحاد الإسلامي للصحة النفسية / اللجنة الوطنية العليا لمكافحة أضرار المخدرات والمسكرات / اللجنة المحلية لوضع الإستراتيجية الوطنية لخفض الطلب على المخدرات / اللجنة الخليجية للصحة النفسية / اللجنة المركزية للصحة النفسية- وزارة الصحة / اتحاد الكتاب والأدباء العرب / مركز الدراسات الأمنية والتدريب- الرياض- المملكة العربية السعودية / نائب رئيس شعبة الطب النفسي- جمعية الإمارات الطبية.